

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[342] اليهود والنصارى، ورأينا أن هذه الإدعاءات الفارغة تستتبعها روح احتكارية ضيقة، ثم وقوع في التناقضات. تقول الآية: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الذِّمَّةُ مَعَنَا وَلَا مَكَانٌ لَهَا وَلَا مَنَازِلُ لَهُمْ وَلَا مَنَازِلُ لَنَا) (سورة المائدة: 81). عبارة "لَيْسَتْ مَعَنَا" تعني أن أفراد هذا الدين لا مكان لهم ولا منزلة لدى الله سبحانه، أو تعني أن هذا الدين لا وزن له ولا قيمة. ثم تضيف الآية: (وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِكُتَابٍ) (سورة المائدة: 81). أي إن هؤلاء لديهم الكتاب الذي يستطيع أن ينير لهم الطريق في هذه المسائل، ومع ذلك ينطلقون في أحكامهم من التعصب واللجاج والعناد!! ثم تقول الآية: (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ) (سورة المائدة: 81). وهذه الآية الكريمة تجعل أقوال هذه المجموعة من أهل الكتاب المتعصبين شبيهة بأقوال الجهلة من الوثنيين. بعبارة أخرى: هذه الآية تقرر أن المصدر الأساس للتعصب هو الجهل والبعد عن العلم، لأن الجاهل مطوَّق بمحيطة المحدود، لا يقبل غيره، بل هو ملتصق بما ملأ ذهنه منذ صغره وإن كان خرافياً، ويرفض ما سواه. ثم اختتمت الآية بالتأكيد على أن الحقائق إن خفيت في هذه الدنيا، فهي لا تخفى في الآخرة حيث تنكشف كل الأوراق: (فَإِنْ يَخْذَكُمُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَعْلَمَ مَا كَانُوا فِيهِ يَخَذَلِفُونَ) (سورة المائدة: 81). وهذه الآية فيها أيضاً تثبيت للقلوب وطمأننة للنفوس، فهي تؤكد للمسلمين أن الطوائف التي تجهزت لمحاربتهم لا تتميز بالإنسجام والوحدة، بل إن مجاميعها يكفر بعضهم بعضاً، والذي يجمع بينهم على الظاهر هو الجهل، وبالتالي التعصب الناشئ عن هذا الجهل. * * *